**المحاضرة الثالثة: الشعر الحر في الجزائر**

لقد تميزتالمرحلة التي سبقت عام 1954م بالحفاظ على الشعر التقليدي ذي الشطرين، على الرغم من التطور الذي طرأ على الشعر الجزائري بعد الحرب العالمية الثانية، من خلال الاتجاه نحو الرومانسية الذي مثله الشاعر "رمضان حمود" و أضرابه من الشعراء الجزائريين، الذين دعوا إلى التجديد على مستوى الشكل و على مستوى المضمون.

و يتفق أغلب الباحثين على أن "أبا القاسم سعد الله" حاز قصب السبق في كتابة النموذج الأول من الشعر الحر في الجزائر متمثلا في قصيدته "طريقي"التي نشرت في جريدة البصائر العدد 311 في 25 مارس 1955م، ثم بعد ذلك نشر الشاعر "أحمد الغوالمي" أول قصيدة حرة له بعد شهر تقريبا عنوانها: "أنين و رجيع" نشرت أيضا في جريدة البصائر العدد 315 في 22 أفريل 1955م.

و هذه القصيدة التي كتبها "أبو القاسم سعد الله" يقول في مطلعها الشاعر:

يا رفيقي

لا تلمني عن مروقي

فقد اخترت طريقي!

و طريقي كالحياة

شائك الأهداف مجهول السمات

عاصف التيار وحشي النضال

صاخب الأنات عربيد الخيال

كل ما فيه جراحات تسيل

و ظلام و شكاوى و وحول

تتراءى كطيوف

من حتوف

في طريقي

يا رفيقي

و إذا كانت هذه المحاولة الجريئة في المرحلة الأولى من تطور هذا الشعر (مرحلة الثورة) و التي قدمها الشاعر "أبو القاسم سعد الله" قد حالفها التوفيق في تجديد الإشكالية الموسيقية للقصيدة و بنيتها التعبيرية، فإن محاولات شعراء آخرين في هذه المرحلة نفسها اتسمت بالتذبذب و التردد، و كانت أقرب إلى الشعر العمودي منها إلى الشعر الحر، منها محاولات "محمد الأخضر عبد القادر السائحي" و "الطاهر بوشوشي" و "الغوالمي" و "أبو القاسم خمار"، و "محمد الصالح باوية" و "عبد الرحمان الزناقي" و "عبد السلام الحبيب الجزائري"، بالإضافة إلى محاولات "أحمد عروة" في الشعر الحر.

و لعل الملمح البارز في مرحلة الريادة هذه أن الشعراء استطاعوا أن يطعموا - كما يرى شلتاغ عبود - الشعر الجزائري بلون جديد بعد أن ظل لفترة طويلة محافظا على شكله العروضي القديم، غير أنه في هذه الفترة لم تتضح أدوات الشعراء الفنية مع هذا الشكل الجديد و بقي لهم فضل الريادة و فضل السبق.

أما المرحلة التي تلت، و هي مرحلة ما بعد "الاستقلال"، فقد عرف الشعر الجزائري في بدايتها ركودا و انسحاب كثير من الشعراء عن كتابة الشعر عموما، فأبو القاسم سعد الله انصرف إلى البحث العلمي منذ 1961م، و انقطع "محمد الصالح باوية" مدة من الزمن عن الشعر متفرغا لدراسة الطب في "يوغسلافيا"، غير أن بعض الشعراء استمر يكتب الشعر، مثل "أبي القاسم خمار" و "محمد الأخضر السائحي" و "عبد الرحمان الزناقي"، و كانوا يراوحون بين القصيدة العمودية و القصيدة الحرة"، لكن بعض الشعراء تخلى عن كتابة الشعر الحر بعد المحاولات الأولى، مثل "أحمد الغوالمي" الذي لم يتوان بعد ذلك عن مهاجمة الشعر الحر بسخرية لاذعة في مجلة "النصر" في مقال له بعنوان "رشحات على الشعر الحافي الخالي من الأوزان و القوافي".

و بعد مرحلة بداية الاستقلال عاد الشاعر "محمد الصالح باوية" بعد انقطاع دام عشر سنوات (1959م -1969م) إلى كتابة الشعر، فكتب قصائد حرة نشرها في ديوانه "أغنيات نضالية"، و في هذه الفترة تطور الشعر الحر عند بعض الشعراء الآخرين كـ"أبي القاسم خمار" و "محمد الأخضر السائحي".